الاستلاب الثقافي ودوره في الاغتراب الاجتماعي
دراسة تحليلية سوسيولوجية

م.م. كاظم حبيب حميد
جامعة القادسية / كلية الآداب
Kadhim.habeb@qu.edu.iq

م.م. نور هشام عبودي
جامعة القادسية / قسم الشؤون العلمية
noor.hisham@qu.edu.iq

م.م. ميثم شاكر لويح
جامعة القادسية / كلية الآداب
maythem3sh4@gmail.com

تاريخ استلام البحث : ٢٠٢٥/١١/٢

تاريخ قبول البحث : ٢٠٢٥/١٢/١٥

ملخص

تناول البحث الاستلاب الثقافي ودوره في الاغتراب الاجتماعي من منظور سوسيولوجي تحليلي، محاولاً الكشف عن العلاقة الجدلية بين فقدان الفرد لخصوصيته الثقافية وانسلاخه عن منظومته القيمية ، وبين شعوره بالاغتراب داخل مجتمعه ، ركّز البحث على معرفة مفهوم الاستلاب الثقافي وماهيته وكذلك التعرف على مفهوم وماهية الاغتراب الاجتماعي فضلاً عن تحليل مظاهر الاستلاب الناتجة عن هيمنة الثقافات الوافدة بفعل العولمة ووسائل الإعلام الحديثة، وما يترتب عن ذلك من تراجع في الهوية الثقافية المحلية وضعف الانتماء الاجتماعي.

وقد توصل البحث الى جملة من الاستنتاجات منها : ان الاستلاب الثقافي يلعب دوراً كبيراً في الاغتراب الاجتماعي لدى الافراد من خلال محاولة سلب الفرد من ثقافته الاصلية التي نشأ وترعرع عليها واستبدالها بأنماط ثقافية دخيلة أو وافدة وبالتالي اغترابه عن مجتمعه وبيئته الاجتماعية .

كما استنتج البحث ان مظاهر العولمة ، والصراع القيمي بين الأجيال ، وثقافة الصورة ، والغزو الثقافي وما يؤسسه من تبعية ثقافية ، فضلاً عن التثاقف وهيمنة النموذج الثقافي الغربي كلها مظاهر واضحة للاستلاب الثقافي ولها دور كبير في زيادة فجوة الاغتراب بين الفرد والمجتمع .

الكلمات المفتاحية : الاستلاب ، الاستلاب الثقافي ،الاغتراب الاجتماعي

Cultural Appropriation and its role in social alienation :A sociological analytical study

Assit.lec. Kadhim Habeeb Hameed Assit.lec. Noor Hisham Aboody Re . Maythem Shaker Louaih
University of Al-Qadisiyah (College of Arts Department of Academic Affairs College of Arts)

Date received: 2/11/2025
Acceptance date: 15/12/2025

Abstract

The research addressed cultural appropriation and its role in social alienation from an analytical sociological perspective , attempting to reveal the dialectical relationship between the Individual's loss of cultural identity and detachment from their system of values, and their feeling of alienation within their own society.

The study focused on identifying the concept and nature of cultural appropriation, as well as the concept and nature of social alienation, In addition to analyzing the manifestations of appropriation resulting from the dominance of Incoming cultures driven by globalization and modern media. It also examined the consequent decline In local cultural Identity and the weakening of social belonging.

The research reached several conclusions, including that cultural appropriation plays a major role In social alienation among individuals by depriving them of their original culture—one they grew up with—and replacing it with foreign or imported cultural patterns, thus causing their alienation from their society and social environment.

The research also concluded that the phenomena of globalization, the value conflict between generations, the culture of the image, cultural invasion and the dependency It establishes, as well as acculturation and the dominance of the Western cultural model, are all clear manifestations of cultural appropriation that play a significant role in widening the gap of alienation between the individual and society.

Keywords : appropriation, cultural appropriation, social alienation

مقدمــة

يُعد الاستلاب الثقافي من أبرز الظواهر التي تواجه المجتمعات المعاصرة في ظل العولمة وتنامي وسائل الاتصال، حيث يؤدي إلى تهميش الهوية الأصلية وإضعاف القيم المحلية أمام هيمنة الثقافات الوافدة. هذا الاستلاب لا يقتصر على البعد الفردي فحسب، بل يترك أثرًا عميقًا في البناء الاجتماعي، إذ يولّد شعورًا بالاغتراب لدى الأفراد نتيجة فقدان الانتماء لجذورهم الثقافية وانقطاعهم عن منظومتهم القيمية. فالاغتراب الاجتماعي يتجلى في ضعف الروابط الأسرية، وتراجع التضامن الاجتماعي، وتنامي الفردانية، إضافة إلى انتشار السلوكيات الدخيلة التي تضعف التماسك الاجتماعي. ومن هنا، تكمن خطورة الاستلاب الثقافي في كونه مدخلًا أساسيًا لخلخلة الهوية الجماعية وإشاعة حالة من الصراع بين الأجيال. لذلك، تتطلب مواجهة هذه الظاهرة تعزيز الوعي الثقافي، وإعادة الاعتبار للتراث المحلي، وإيجاد سياسات تعليمية وإعلامية تعزز الانتماء، بما يسهم في تقليل حدة الاغتراب الاجتماعي وضمان استمرارية الهوية الوطنية في مواجهة هذه التحديات.

أولاً : مشكلة البحث

تُعَدّ ظاهرة الاستلاب الثقافي من أهم التحديات التي تواجه المجتمعات المعاصرة في ظل تسارع تيار العولمة وتدفق المعلومات والثقافات عبر الوسائط الرقمية. إذ يؤدي هذا الانفتاح غير المتكافئ إلى تراجع الهوية الثقافية المحلية أمام هيمنة النماذج الثقافية الأجنبية، مما يُحدث خللاً في منظومة القيم والسلوك الاجتماعي. وتتمثل المشكلة في الكيفية التي يسهم بها الاستلاب الثقافي في تعميق الشعور بالاغتراب الاجتماعي لدى الأفراد، بحيث يفقد الإنسان انتماءه إلى بيئته الثقافية والاجتماعية الأصلية. فمع تبنّي قيم وسلوكيات غربية أو دخيلة، يتنامى التناقض بين الذات والواقع المحلي، مما يؤدي إلى ضعف التماسك الاجتماعي وتآكل الشعور بالانتماء الجمعي. لذا، تكمن مشكلة البحث في تحليل العلاقة بين الاستلاب الثقافي كظاهرة ناتجة عن التأثير الثقافي الخارجي، وبين الاغتراب الاجتماعي بوصفه أحد أبرز تجلياته النفسية والاجتماعية في المجتمع العراقي .

والبحث الحالي يحاول الاجابة عن التساؤلات الآتية :

١- ما الاستلاب الثقافي ؟ وما الاغتراب الاجتماعي؟ من منظور علم الاجتماع .

٢- ما طبيعة العلاقة بين الاستلاب الثقافي و الاغتراب الاجتماعي ؟

٣- ما مظاهر الاستلاب الثقافي المؤدية إلى الاغتراب الاجتماعي ؟

ثانياً : أهمية البحث

تنبع أهمية هذا البحث من كونه يتناول إحدى القضايا المحورية في الدراسات الاجتماعية والثقافية المعاصرة، وهي ظاهرة الاستلاب الثقافي وما تفرزه من حالة اغتراب اجتماعي لدى الأفراد والجماعات. يسهم البحث في فهم العلاقة الجدلية بين الهيمنة الثقافية و تشظي الهوية ، مما يساعد على تفسير مظاهر التبعية الفكرية والانسلاخ عن القيم المحلية. كما يتيح الكشف عن الآثار النفسية والاجتماعية المترتبة على تبني أنماط ثقافية دخيلة تؤدي إلى ضعف الانتماء الاجتماعي وتآكل الروابط الاجتماعية . ويكتسب البحث أهميته كذلك من قدرته على تقديم رؤية نقدية تسعى إلى تعزيز الوعي الثقافي ومقاومة أشكال الهيمنة الرمزية. فضلاً عن ذلك، فإنه يسهم في إثراء النقاش الأكاديمي حول سبل استعادة التوازن بين الأصالة والمعاصرة، وتعزيز الهوية الثقافية في ظل العولمة المتسارعة.

ثالثاً : أهداف البحث

١- التعرف على مفهوم الاستلاب الثقافي الاغتراب الاجتماعي من المنظور السوسيولوجي .

٢- عرض بعض نماذج الدراسات السابقة التي تناولت متغيري الاستلاب الثقافي والاغتراب الاجتماعي .

٣- معرفة طبعة العلاقة بين الاستلاب الثقافي والاغتراب الاجتماعي .

٤- التعرف على بعض مظاهر الاستلاب الثقافي المؤدية إلى الاغتراب الاجتماعي .

رابعاً : منهجية البحث

يعتمد البحث الحالي على المنهج السوسيولوجي التحليلي من خلال عرض متغيرات الدراســـة (الاستلاب الثقافي والاغتراب الاجتماعي) ، ومن ثم معرفة العلاقة الارتباطية بينهما عن طريق الدراسة النظرية وصولاً الى الاستنتاجات النهائية للبحث وبذلك يعتبر البحث من البحوث النظرية .

خامساً : تحديد المفاهيم والمصطلحات العلمية

١- الاستلاب الثقافي :

يُعدّ مفهوم الاستلاب من المفاهيم العريقة في تاريخ الفلسفة ، ويرتبط ظهوره أساساً بالفلسفة المثالية الألمانية، غير أنّ جذوره تعود – عند بعض الدارسين – إلى فكرة أفلوطين عن انبثاقات الواحد. وقد استخدمه جان جاك روسو للإشارة إلى حالة الانفصال التي يعيشها الإنسان عن الطبيعة وفقدانه حريته الأصلية عندما التزم بقيود العقد الاجتماعي. أما في الفلسفة الكانطية، فقد ارتبط الاستلاب بمحدودية الأنا الظاهري وغربته أمام الأنا النوميني (الشيء في ذاته). وفي فلسفة هيغل، اتخذ المفهوم معنى آخر، إذ صار يدل على انفصال الفكر أو الروح عن ذاته من خلال عملية إنتاج الموضوعات، حيث تمثل هذه الموضوعات تجسيداً خارجياً للفكر، وفي الوقت نفسه انفصالاً عنه أو استلاباً له (محمد سبيلا : ٢٠٠٩ ، ص ٢٧-٢٨) .

يعرف الاستلاب هو عملية تنازل ظاهري طوعي عن الإرادة أو الحقوق الفردية، يقوم بها الأفراد تحت ضغط الضرورات الاجتماعية والاقتصادية، حيث تُفرض عليهم بنية خارجية (كالدولة أو النظام الاجتماعي) باعتبارها ضامناً للحياة والأمن والملكية. وبالرغم من الطابع الطوعي الظاهري لهذا التنازل، إلا أنه في جوهره نتيجة لحاجة موضوعية إلى الحماية والتنظيم، ما يجعل هذا الفعل تعبيرًا عن خضوع غير مرئي لبنى الهيمنة الاجتماعية (عبد الجبار : ٢٠١٨ ، ص٣٢) .

وطبقاً لهذا الرأي فإن الاستلاب الثقافي يمثل حالة من الخضوع ، سواء أكان إرادياً أم غير إرادي ، لبنية هرمية من القيم والمعايير التي لا تعكس التراتبية الحقيقية للمجتمع الأصلي الذي ينتمي إليه الفرد ، ويظل هذا المجتمع يشتغل وفق آلياته الطبيعية لضمان اندماج الفرد فيه (سفيان : ٢٠١٨ ، ص ٧) .

كما يُعرَّف الاستلاب الثقافي بأنه ظاهرة يتم فيها توظيف عناصر من ثقافة غير مهيمنة بطريقة تُغفل معناها الأصلي ولا تُقدّر مصدرها، مما قد يؤدي إلى تشويه تلك الثقافة أو تعزيز أشكال من الاضطهاد تجاهها. وعلى الرغم من أن التفاعل الثقافي والتبادل الحضاري ظاهرتان طبيعيتان تنشآن عن احتكاك المجتمعات المختلفة، فإن الاستغلال غير الواعي أو المقصود لعناصر ثقافة مهمشة يُعدّ شكلاً من الهيمنة الثقافية التي تُحدث آثاراً سلبية على الهوية والمساواة الثقافية (Matthes : 2016 , 343-366)

كما يعرف الاستلاب الثقافي أحد الأشكال المشوَّهة لتمثل الذات، إذ يقوم على تماهي الفرد أو الجماعة مع الآخر. غير أنّ هذا التماهي لا يفضي في جوهره إلى إنتاج ثقافة إنسانية كونية موحَّدة، بقدر ما يؤدي إلى إنتاج صراع بين ثقافة أصلية وأخرى لا تتجاوز كونها محاكاة عبر مرآة. فالفرد المستلب لا ينفتح على إمكاناته الذاتية ولا يمتلك قابلية التحوّل أو التطوّر الذاتي؛ بل يظلّ في موقع "المفعول به"، بينما يُسند الفعل والمعنى للآخر بوصفه الفاعل الدلالي ، وتتحقق آلية الاستلاب في هذا السياق من خلال ما يُعرف بآلية "الاستدماج" (Internalization)، أي استجابة الفرد وتبنيه لأفكار أو قيم أو أنماط سلوكية تعود في أصلها إلى الآخر، ثم إعادة تشكيل ذاته وتكييفها بما يتلاءم مع هذه المعطيات الوافدة (وليد منير : ٢٠١٠ ، ص ١٢٢) .

٢- الاغتراب الاجتماعي :

تشير الكلمة الانجليزية (Alienation) والمشتقة من الكلمة اللاتينية (Alienation Menits) للدلالة على مفهوم الاغتراب عن الذات، الذي يُفسَّر بوصفه حالة من فقدان الهوية والشعور بانعدام الذات. ويُعزى هذا الشعور إلى مجموعة من الضغوط البيئية، من أبرزها الإفراط في متطلبات المجتمع أو المبالغة في مستوى الأداء المتوقع من الفرد (الجماعي : ٢٠١٠ ، ص٤٦) .

ويشير السياق النفسي – الاجتماعي إلى أن الاغتراب يعني شعور الفرد بالانفصال عن الكل الاجتماعي الذي ينتمي إليه، ويُعدّ هذا الشعور انعكاسًا لمكانة الفرد داخل المجتمع نتيجة ما يفرضه الأخير من عقوبات تتجلى في العزل أو النبذ عند الخروج عن المعتقدات أو التقاليد السائدة. وبهذا المعنى، يُنظر إلى الفرد المغترب بوصفه منشقًا عن المألوف الاجتماعي أو الديني (الجماعي : ٢٠١٠ ، ص٤٦) .

ويُعَدّ الاغتراب ظاهرةً اجتماعية ونفسية معقّدة، تمثّل مشكلة إنسانية عامة ذات أبعاد متباينة؛ إذ قد يُنظر إليها أحياناً بوصفها حالة طبيعية مقبولة، بينما تتخذ في أحيان أخرى شكلاً مرضياً معيقاً للفرد والمجتمع. وتبرز هذه الظاهرة في العديد من المجتمعات بغض النظر عن اختلاف أنظمتها السياسية أو توجهاتها الأيديولوجية أو مستوياتها الاقتصادية ودرجات تقدّمها المادي والتكنولوجي. كما يشكّل الاغتراب إحدى أبرز أزمات الإنسان المعاصر، لِما ينطوي عليه من معاناة متجددة ومتعددة الأبعاد، على الرغم من اختلاف أسبابه ومصادره (الشيخ، ٢٠٠٥، ص٣٧) .

الاغتراب الاجتماعي يُعرَّف بوصفه حالة شعورية يعيشها الفرد تتمثل في فقدان الإحساس بالانتماء، وضعف الثقة بالآخرين، ورفض القيم والمعايير الاجتماعية السائدة. كما يرتبط هذا المفهوم بالمعاناة من ضغوط نفسية متزايدة تؤدي إلى اهتزاز وحدة الشخصية، وقد تصل إلى حدّ الانهيار، وذلك بفعل التأثيرات الناجمة عن العمليات الثقافية والاجتماعية السائدة في المجتمع (زهران : ٢٠٠٤ ، ص ١٥٣-١٥٤) .

سادساً : النظرية المفسرة للبحث

نظرية الهيمنة الثقافية لعالم الاجتماع الايطالي انطونيو غرامشي :

ربط الباحثون بين مفهوم الاغتراب عند ماركس ومفهوم الهيمنة الثقافية لدى أنطونيو غرامشي، بوصفهما إطارين يفسّران أنماط الاستلاب الثقافي في بيئة الإعلام الجديد. فوسائل التواصل الاجتماعي— بما توفره من مشاركة حرة ظاهريًا — تُنتج أشكالًا جديدة من الخضوع للنظام الاقتصادي-الثقافي السائد، إذ يتحول المستخدمون إلى منتجين يساهمون طوعًا في إعادة تدوير المحتوى ونشره ، مما يعزز أسطورة سيادة المستهلك ويعمّق عمليات استخراج البيانات الشخصية وتحويلها إلى مادة أولية للتسويق والاستهداف الإعلاني الدقيق . (Reveley:2013,p86)

ويؤكد غرامشي أن هذا الانخراط الطوعي يعكس أنماطًا من تراتب الهيمنة ، حيث يصبح المستخدم جزءًا من بنية تكرّس الاستلاب الثقافي عبر إعادة تشكيل الوعي وفق مصالح السوق ، ويستحضر عالم الاجتماع الليبرالي (كومور بايومان) مفهوم الثقافة الاستهلاكية ليؤكد بأن مستخدم وسائل التواصل الاجتماعي يزعم أن هدفه المثالي هو التعرف على الآخرين، باستحضاره مفهوم الثقافة الاستهلاكية، أن الفرد على وسائل التواصل الاجتماعي يبدو وكأنه يسعى للتواصل، لكنه في الواقع يعرض ذاته كسلعة في سوق غير مرئي، محكوم بمنطق التبادل والتمثّل. وهكذا تُختزل العلاقات الاجتماعية في قيم سلعية، ويتشرب المستخدمون بنى الاستهلاك بوصفها أطرًا للتفاعل والهوية ، مما يجعل الإعلام الجديد فضاءً رئيسًا يعيد إنتاج رأسمالية المستهلك ويعمّق الاغتراب الاجتماعي والثقافي (حسين وشعبان : ٢٠١٩، ١٣٥٨) .

وطبقاً لنظرية غرامشي يمكن اعتبار الاستلاب الثقافي عامل مهم من عوامل الاغتراب الاجتماعي ، كونه يستهدف الثقافة الاصلية للفرد والمجتمع ويحاول بشتى الطرق هيمنة الثقافة الوافدة التي تفرزها عمليات

الغزو الثقافي والتثاقف خاصة في ظل وجود المجتمع الافتراضي الذي اصبح اليوم مهيمناً بدرجة كبيرة على الحياة الاجتماعية وما يتبعه من خضوع ارادي او لا ارادي يعزز عملية الاستلاب وتشكيل الوعي الثقافي واختزال العلاقات الاجتماعية الى علاقات قائمة على اساس المنفعة ، وافراز قيم قائمة على اساس ثقافة التسليع والاستهلاك بحيث يصبح الفرد شبيه بالسلعة التي يسوق لها في سبيل اثبات وجوده ، وهذا السعي وراء اثبات وجوده في ظل هذه الاطر الثقافية قد يشعره بالاغتراب عن مجتمعه وثقافته وقيمه الاصلية .

سابعاً : نماذج من الدراسات السابقة :

١-دراسة الباحثين (سليم عطاوه وعامر يحياوي) (٢٠١٦) الموسومة بـ(مفهوم الاستلاب الثقافي واثره في الهوية لدى الشباب الجزائري – مقاربة تربوية)

هدفت هذه الدراسة الى معرفة مكانة الهوية الثقافية للشباب الجزائري في ظل وجود الاستلاب الثقافي الذي تفرضه عمليه نشر الثقافة الغربية المهيمنة ، وقد اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي (النظري) لمعرفه اثر الاستدلال الثقافي وهيمنة النموذج الثقافة الغربي المضاد للخصوصية الثقافية على هوية الشباب الجزائري ، وخلصت الدراسة كما ان عملية الاستلاب الثقافي لها تبعات واثار على المجتمع الجزائري عموما وعلى فئة الشباب خصوصا ، وإن من شأن العملية التربوية أن تمارس دوراً كبيراً في خلق الممانعة لدى المجتمع بفئاته ، وتكوين هوية ثقافيه ذات بناء مشبع للقيم والاخلاق المستمدة من فلسفة بالمجتمع وواقعه (عطاوة و يحياوي : ٢٠١٦).

٢- دراسة الباحثة (مديحة فخري محمود) (٢٠١٩) الموسومة بـ(الاستهلاك الفكري والثقافي في العالم العربي : رؤيه تربوية :

هدفت هذه الدراسة الى معرفة انعكاس الاستلاب الفكري والثقافي على التربية في العالم العربي وما هي الرؤية التربوية لمواجهته في ظل الثورة المعرفية والمعلوماتية وقد اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي من خلال معرفة مفهوم الاستلاب الفكري والثقافي ، وعرض عوامله ، وسبل مواجهته . وانتهت الدراسة بتقديم رؤية تربوية مقترحة تتمثل في النهوض بالتعليم وتعزيز الهوية الثقافية وتعظيم قيمه العمل والانتاج ودمج الفئات المهمشة والمستبعدة (محمود : ٢٠١٩) .

٣- دراسة الباحث (جعفر طالب حمزة) (٢٠٢٢) الموسومة بـ(المساندة الاجتماعية وعلاقتها بالاغتراب لدى الشباب- دراسة ميدانية في مدينة الحلة) :

هدفت هذه الدراسة للتعرف على العلاقة بين المساندة الاجتماعية والاغتراب, وعلى ماهية المساندة الاجتماعية وابعادها ومظاهرها , وأنواع الاغتراب بين الشباب باستخدام منهج المسح الاجتماعي وأدوات الاستبيان والمقابلة ، وتوصلت إلى نتائج منها إنَّ من أهم مصادر المساندة الاجتماعية هي مساندة الأسرة للشباب باعتبارها الخلية الاولى التي يعيش فيها الفرد ويتلقى جميع أنواع الدعم والمساندة ، وإن هناك شعور عالٍ لدى أغلبية المبحوثين بعدم الانسجام مع بعض القيم والعادات الاجتماعية وهو ما يؤدي إلى الاغتراب الاجتماعي (حمزة : ٢٠٢٢) .

٤- دراسة الباحثة هدى اعلان عبد الحسين (٢٠٢٥) الموسومة بـ(الاغتراب الاجتماعي وتأثيره على التجانس الثقافي/ دراسة ميدانية في مدينة الديوانية) :

هدفت الدراسة إلى التعرف على مستوى الاغتراب الاجتماعي لدى طلبة الصفوف الأولية في مدينة الديوانية وتأثيره على مستوى التجانس الثقافي بينهم باستخدام منهج المسح الاجتماعي وأدوات الاستبيان والمقابلة ، واستنتجت الدراسة بأن هناك تأثير كبير للاغتراب الاجتماعي على مستوى التجانس الثقافي بين الطلبة مما يؤثر سلباً على قدرتهم على الاندماج والتفاعل الاجتماعي في الانشطة الجماعية (عبد الحسين : ٢٠٢٥) .

ثامناً : بعض مظاهر الاستلاب الثقافي المؤدية للاغتراب الاجتماعي

١- العولمة

شهد العالم في العقود الأخيرة من القرن العشرين بروز نظام عالمي جديد أخذ يتبلور تدريجياً حتى اكتملت ملامحه فيما عُرف بـ "العولمة". وقد أصبحت هذه العولمة إطاراً عاماً يفرض نفسه على جميع الدول، بغض النظر عن مستوى تقدمها، بحيث تجد نفسها مضطرة للانخراط فيه والتكيف مع متطلباته بوصفه واقعاً لا يمكن تجاوزه. وقد تباينت مواقف المفكرين والباحثين إزاء العولمة بين مؤيد لها ورافض لآثارها.

ويرى حجازي أن العولمة في جوهرها تسعى إلى إحداث اختراق ثقافي وفكري، يفضي إلى السيطرة على الوعي وفرض هيمنة ثقافية على الشعوب. وفي هذا السياق، يجد الإنسان العربي نفسه أمام ثقافة مشوهة ومغتربة، مزيج غير متجانس من أفكار وأيديولوجيات وافدة، تجمع بين النزعة المحافظة والتوجهات الراديكالية،

بما يؤدي إلى طمس ملامح التراث وإضعاف الوعي التاريخي. ونتيجة لذلك يشعر الفرد العربي بالاغتراب داخل ثقافته، فلا يعرف كيف يواجه آثار العولمة، فيعيش في عالم من الأوهام والتصورات الخيالية، إما هرباً من واقعه أو عجزاً عن تغييره. وفي ظل هذا المأزق لا يجد مخرجاً سوى الانكفاء على الماضي والبكاء عليه، أو الاندفاع نحو تقليعات عصرية ظاهرية لا تعكس أصالة حقيقية، فيتحول إلى شخصية مشوشة فاقدة الهوية ، غير قادرة على التكيف مع الواقع، أو التصالح مع الذات، أو التفاعل الإيجابي مع الآخر لاستعادة توازنها (حجازي : ٢٠٠٩ ، ص ١٥) .

٢- الصراع القيمي بين الأجيال :

يُعَدُّ الصراع بين الأجيال أحد أبرز مظاهر التحول الثقافي في المجتمعات العربية، حيث يتجسد في مواجهة بين تيارين متباينين: الأول، يميل إلى العودة إلى الماضي والتمسك بمفاهيم السلفية وما يرتبط بها من أصالة، وتراث، وثبات، واتباع، وأصولية، وما يمكن تسميته بالنزعة "الماضوية" ، أما الثاني، فيتجه نحو الانفتاح على الحاضر والمستقبل، مرتكزًا على قيم الحداثة وما تشتمل عليه من إبداع وتجديد وتحرر من قيود الماضي، إضافة إلى تبني مفاهيم العولمة وما تفرضه من تحولات في البنى الثقافية والاجتماعية ، وبين هذين التيارين المتعارضين تنشأ مواقف وسطية تسعى إلى التوفيق بين القديم والجديد، من خلال الدعوة إلى التغيير مع الحفاظ على الأصالة، أو تبني ما هو نافع من الثقافات الأخرى ورفض ما يُعَدّ متعارضًا مع الهوية الثقافية. إلا أن هذه المساعي لا تخلو بدورها من مظاهر التشدد والتطرف، سواء في اتجاه الماضوية أو في اتجاه الحداثة المطلقة (عبد الله : ٢٠١٧ ، ص١١) .

ويظهر هذا الصراع بوضوح في الواقع العربي عمومًا، وفي المجتمع العراقي بعد عام ٢٠٠٣ على وجه الخصوص، حيث تبلورت فجوة واضحة بين جيل الآباء المتمسك بالعادات والتقاليد المتوارثة بوصفها إطارًا مرجعيًا ثابتًا لتنظيم الحياة اليومية والعلاقات الاجتماعية، وجيل الأبناء الذي يسعى إلى إعادة النظر في هذه القيم، بل وإلغائها أحيانًا، ليحل محلها منظومة جديدة تستجيب لمتطلبات التطور الفكري والتكنولوجي ولغة العصر. ومن ثم، فإن هذا التباين يعكس جدلية مستمرة بين الحفاظ على الموروث الثقافي من جهة، ومواكبة

التحولات العالمية المتسارعة من جهة أخرى التي من شأنها أن تخلق حالة من الاغتراب الاجتماعي خصوصاً لدى الشباب .

٣- ثقافة الصورة

تُعدّ ثقافة الصورة من أبرز الركائز التي استند إليها العالم المعاصر في ترسيخ هيمنته الثقافية، لما تمتاز به من قدرة على إنتاج الرموز وصياغة الدلالات، فضلاً عن ما تنطوي عليه من مقومات تعبيرية متعددة تجمع بين الجاذبية البصرية والثراء الرمزي والقيمة الجمالية. وقد أسهمت هذه الخصائص في جعل الخطاب البصري أحد المصادر الأساسية لتشكيل القيم والوعي والوجدان والذوق والسلوك، إضافة إلى دوره في إنتاج رموز جاهزة وتلقين المعارف والأفكار بطريقة آلية تؤدي إلى خلق أنماط متكررة من الأفراد الذين يفكرون ويتذوقون ويستدلون بأساليب شبه موحّدة ، أما المجالات التي يصعب إخضاعها لهذه الآلية النمطية، مثل الفلسفة والشعر وبعض الفنون والعلوم الإنسانية المرتبطة بالخصوصيات الثقافية، مهددة بالانحسار التدريجي. ومع تطور العصر الحديث، تعاظم الاهتمام بالفنون البصرية، وأصبح الخطاب المرئي هو السائد والأداة الرئيسة في ممارسة النفوذ والهيمنة والتأثير، فضلاً عن كونه وسيلة محورية في امتلاك المعلومة والتحكم في تدفقها وتداولها. وعليه، باتت الصورة تمثل الأداة المركزية أو "المفتاح السحري" في إعادة تشكيل وعي الإنسان وعلاقته بمحيطه (سعادنة : ٢٠١٦ ، ص١٦) .

٤- الغزو الثقافي وفكرة التبعية

يُعد الغزو الثقافي من أخطر الظواهر التي تواجه الشعوب، وقد تعددت تعريفاته باختلاف السياقات الفكرية والاجتماعية التي تناولته. ومن أبرز هذه التعريفات ما يذهب إلى أن الغزو الثقافي يتمثل في عملية فرض ثقافة أجنبية وهيمنتها على ثقافة شعبٍ ما، بما يؤدي إلى خلق فجوة واضحة بين ماضي هذا الشعب وحاضره، وإضعاف صلته بتراثه الثقافي والروحي. وينتج عن هذه العملية رفع شأن الحضارة الأجنبية في مقابل تهميش الحضارة المحلية أو الوطنية، الأمر الذي يقود إلى محو أو طمس معالم الهوية الثقافية الأصلية ، ولا يقتصر أثر الغزو الثقافي على البُعد الفكري والمعرفي فحسب، بل يمتد إلى الأبعاد الاجتماعية والنفسية، حيث

يفرض حالة من الاغتراب على أبناء الشعوب المستضعفة، تدفعهم إلى نسيان أنماط حياتهم الأصيلة، وقيمهم الموروثة، وتقاليدهم الخاصة (الحسن : ١٩٩٨، ص ١٦) .

تعد فكرة التبعية من الأفكار وثيقة الصلة بموضوع الثقافة والهوية الثقافية، وفي كل الأحوال لا يمكن النظر إليها باعتبارها تمثل الرفض الساذج للتراث والعلم الغربي أو الدعوة إلى الانغلاق على خصوصية علمية عربية لا ينفتح فيها العلم إلا على ذاته، ولكنها تنطوي على نفي فكرة التراث والعلم الواحد حتى في المجتمع الغربي ذاته، فالواقع السياسي والاجتماعي هناك متعدد بتعدد مواقع القوى السياسية والاجتماعية المتباينة ومصالحها، ويتعدد وفقا لذلك التراث الثقافي والعلم الإنساني الذي يعكس الرؤى والتفسيرات المتغايرة والمتصارعة الأنماط الحياة وأفضل أساليب تنظيمها. وحيث أن واقع مجتمعات العالم الثالث ومجتمعاتنا العربية هو أنها خاضعة للسيطرة الإمبريالية بوجودها في شبكة علاقات النظام الرأسمالي العالمي، وعليه فإن التقليد لنمط العلم والثقافة المسيطرة في العالم الرأسمالي يخدم بطبيعة الحال هدف الإبقاء على العلاقات الاجتماعية الراهنة، ويعمل على دعم العلاقات الدولية غير المتكافئة، ويساهم في تشديد الروابط مع النظام الرأسمالي العالمي السائد (مصطفى ثابت : ٢٠٢٣ ، ص١٧٤) .

٥- التثاقف و هيمنة النموذج الثقافي الغربي

يُعدّ التثاقف من المفاهيم المحورية في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، إذ يشير إلى جملة التفاعلات التي تنشأ نتيجة احتكاك مباشر ومستمر بين ثقافات مختلفة. ويُفضي هذا التفاعل إلى تبادلٍ متدرّج للعناصر والقيم والرموز الثقافية، مما ينعكس على البُنى الاجتماعية والأنماط السلوكية للأفراد والجماعات. وتتباين نتائج التثاقف بين جوانب إيجابية تتمثل في إثراء الهوية الثقافية، وجوانب سلبية قد تؤدي إلى الاستلاب أو تهميش الثقافة الأصلية ، ويُعرَّف (التثاقف) بأنه مجموعة الظواهر الاجتماعية والثقافية الناتجة عن التفاعل المباشر والمستمر بين جماعات وأفراد ينتمون إلى ثقافات متباينة، وما يترتب على هذا التفاعل من تحوّلات بنيوية ووظيفية تنعكس على الأنماط الثقافية الأصلية لكل جماعة، سواء من حيث القيم أو الممارسات أو الرموز الثقافية (الخطابي : ٢٠٠١ ، ص٢٤) .

يتمثل في حدوث حالة من التوتر واللاتوازن على مستوى الهوية الثقافية للفرد المتثاقف مع ضمور وضياع للذاكرة الجماعية للجماعات الاجتماعية التي تعتبر حجر الزاوية في استقرار الجماعة. فالتثاقف اذن يمس الفرد في ثقافته الأصلية وحتى في شخصيته القاعدية، فهو في معظم الأحوال يستعمل بمفهوم الاستلاب أو التهميش الثقافي مما يجعله يتجاوز التعبير عن التغير إلى الاختلال والاضطراب (العقون ، ٢٠١٤ ، ص٢٠٦) .

تسعى العديد من وسائل الإعلام الحديثة، ولا سيما شبكة الإنترنت، إلى تحقيق ما يمكن تسميته بـ "التجانس الثقافي" بين المجتمعات، وذلك من خلال نشر النموذج الثقافي الغربي – وبشكل خاص النموذج الأمريكي – بوصفه النموذج الأمثل للحياة المعاصرة. ويتم ذلك عبر محاولات ممنهجة لتجريد الثقافات المحلية من مقوماتها الفكرية والدينية والتاريخية، ومحو الخصوصية الثقافية التي تميّز كل أمة، مما يؤدي إلى تسطيح الهويات الثقافية المختلفة وجعلها أكثر توافقًا مع الأهداف والمصالح الثقافية والإعلامية للقوى الغربية المهيمنة (مجاهد : ٢٠٠١ ، ص١٥٧) .

ولا شك أن الثقافة المنتمية إلى الدول ذات النفوذ الأقوى في مجالات الإعلام والاتصال تمتلك القدرة على طمس الثقافات الأخرى، نظرًا لإمكاناتها الكبيرة في الانتشار والتغلغل داخل المجتمعات المختلفة. ومن هذا المنطلق، نلاحظ أن شبكة الإنترنت تعرض أنماط الحياة الغربية وصورها الثقافية بأسلوب جذّاب ومبهر، يثير إعجاب المتلقين ويدفعهم إلى محاكاة تلك المظاهر، حتى تصبح تلك المجتمعات الغربية نموذجًا يحتذى ومثالًا أعلى تتطلع إليه الشعوب الأخرى . وفي المقابل، تُقدَّم الثقافات الأخرى – ولا سيما الثقافات العربية والإسلامية – بطريقة سلبية توحي بأنها السبب وراء مظاهر التخلف والجمود، الأمر الذي يعزز نزعة الاغتراب الثقافي لدى الأفراد ويدفعهم إلى التنصل من مكوناتهم الحضارية لصالح تبنّي الأنماط الغربية الحديثة (أديب ومروة : ٢٠١٨ ، ص٢٧١-٢٧٢) .

ثامناً : استنتاجات البحث

١- يؤدي الاستلاب الثقافي دوراً كبيراً في الاغتراب الاجتماعي لدى الافراد من خلال محاولة سلب الفرد من ثقافته الاصلية التي نشأ وترعرع عليها واستبدالها بأنماط ثقافية دخيلة أو وافدة وبالتالي اغترابه عن مجتمعه وبيئته الاجتماعية .

٢- تعتبر العولمة من أهم مظاهر الاستلاب الثقافي التي تؤدي الى الاغتراب الاجتماعي من خلال دعوتها الى اذابة الثقافات في بوتقة واحدة وتهميش الثقافات الاصلية وخصوصيتها والتنوع الثقافي.

٣- يؤدي الصراع القيمي بين الاجيال الى الاغتراب الاجتماعي خصوصاً في وقتنا الحاضر ، اذ ان اختلاف الثقافة بين الآباء والأبناء وصراع الايديولوجيات بات عاملا مهماً يجعل من الفرد مغترباً في اسرته ومجتمعه .

٤- تعد ثقافة الصورة من المظاهر والمعالم الواضحة للاستلاب الثقافي والتي من شأنها أن تختزل ثقافة الفرد في ما يراه من صور مرئية خصوصاً في مواقع التواصل الاجتماعي وبالتالي التركيز على هذا النمط الثقافي الهجين على حساب الثقافة الأصلية وخلق حالة من الاغتراب الاجتماعي.

٥- يؤسس الغزو الثقافي لفكرة التبعية الثقافية للفرد ، من خلال اتباع الفرد لأنماط الثقافة الغربية على حساب الثقافة المجتمعية وهي صورة واضحة للاستلاب الثقافي والتي من شأنها أن تزيد من اغتراب الفرد اجتماعياً .

٦- إن هيمنة النموذج الثقافي الغربي نتيجة عملية التثاقف يسهم بشكل كبير في الاستلاب الثقافي ، من خلال عرض شبكة الانترنت ومواقع التواصل الاجتماعي لأنماط الحياة في المجتمعات الغربية وصورها الثقافية بصورة جذابة وجعلها نموذجاً يحتذى به في مقابل تقديم صورة سلبية للثقافات الاخرى ومنها الثقافة العربية مما يؤدي الى تعزيز الاغتراب الاجتماعي للأفراد .

تاسعاً : مقترحات البحث

١- تعزيز الهوية الثقافية الوطنية من خلال إدماج القيم والموروث الثقافي في المناهج التعليمية والأنشطة الشبابية وتشكيل منظمات ترعى هذا الطرح الثقافي الإيجابي .
٢- تنمية الوعي الثقافي والإعلامي لدى الأفراد لتمكينهم من التمييز بين الأصالة والتقليد الثقافي الوافد .
٣- دعم الحوار بين الأجيال للحد من الصراع القيمي وتعزيز التماسك الأسري والاجتماعي ، من خلال الاعزاز بالقيم وثوابت المجتمع مع أخذ ما هو ايجابي من الثقافة الجديدة .
٤- توجيه وسائل الإعلام ومواقع التواصل الاجتماعي نحو تبني محتوى يعزز الانتماء والهوية الوطنية والثقافية.
٥- إقامة برامج توعوية وتدريبية حول مخاطر الاستلاب الثقافي والعولمة والثقافات الوافدة والعادات السلبية وأثرها على القيم الاجتماعية.

٦- تشجيع الدراسات الأكاديمية والميدانية حول ظاهرة الاغتراب الاجتماعي والاستلاب الثقافي لتقديم حلول واقعية ومستدامة.

المصادر

١- إحسان محمد الحسن : تأثير الغزو الثقافي على سلوك الشباب العربي ، أكاديمية نايف للعلوم الأمنية ، المملكة العربية السعودية ، ١٩٩٨ .

٢- أحمد محمد حجازي : الخطاب الثقافي للعولمة الاشكالات والتحديات ، دار المعرفة للنشر ، ٢٠٠٩ .

٣- إيمان عاشور سيد حسين و زينب محمود شعبان : تصور مقترح لتعزيز دور وسائل الإعلام الجديد في مواجهة الاغتراب الاجتماعي لدى طلبة الجامعة في ضوء رؤية مصر ٢٠٣٠ ، المجلة التربوية ، كلية التربية / جامعة سوهاج ، العدد ٦٨ ، ٢٠١٩ .

٤- جمال سعادنة : العولمة وتوظيف الخطاب المرئي من تحييد الوعي الى استلاب الهوية ، مجلة الأثر ، جامعة باتنة ، الجزائر ، ٢٠١٦ .

٥- جواد محمود الشيخ : الاغتراب النفسي وعلاقته بالصحة النفسية لدى طلاب الجامعات الفلسطينية ، رسالة ماجستير ، جامعة غزة / كلية التربية دونت ، ٢٠٠٥ .

٦- جعفر طالب حمزة : المساندة الاجتماعية وعلاقتها بالاغتراب لدى الشباب– دراسة ميدانية في مدينة الحلة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب / جامعة القادسية ، ٢٠٢٢.

٧- خالد الشلال : "الاغتراب الأسري وأثره في تنمية أفراد الأسرة الكويتية"، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية الرسالة ٢٦٤ الحولية ٢٨، ٢٠٠٧ .

٨- ساسي سفيان : التنشئة الاجتماعية وتمظهرات الاستلاب الثقافي في المجتمع الجزائري ، مجلة التكامل ، العدد (٣) ، جامعة الشاذلي بن جديد ، ٢٠١٨ .

٩- سليم عطاوة وعامر يحياوي : مفهوم الاستلاب الثقافي واثره في الهوية لدى الشباب الجزائري –مقاربه تربوية ، مجلة حقائق للدراسات النفسية والاجتماعية ، العدد الاول المجلد الاول ، جامعه الجلفة ، الجزائر ، ٢٠١٦ .

١٠- سناء حامد زهران : ارشاد الصحة النفسية لتصحيح مشاعر ومعتقدات الاغتراب ، عالم الكتب للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ٢٠٠٤ .

١١- سيد علي شتا : نظرية الاغتراب من منظور علم الاجتماع ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، ١٩٩٣ .

١٢- صلاح الدين احمد الجماعي : الاغتراب النفسي و الاجتماعي ، دار زهران للنشر والتوزيع ، عمان ، ٢٠١٠ .

١٣- عادل بن محمد بن محمد العقيلي : الاغتراب وعلاقته بالأمن النفسي / دراسة ميدانية على عينة من طلاب جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بمدينة الرياض ، رسالة ماجستير ، كلية الدراسات العليا / قسم علم الاجتماع ، جامعة نايف العربية للعلوم الاسلامية ، ٢٠٠٤ .

١٤- عز الدين الخطابي : سوسيولوجية التقليد والحداثة بالمجتمع المغربي ، منشورات عالم التربية ، الدار البيضاء ، ٢٠٠١ .
١٥- فالح عبد الجبار : الاستلاب ، دار الفارابي ، لبنان ، ٢٠١٨ ، ص٣٢ .
١٦- لحسن العقون : التثاقف : الاستراتيجيات والآثار ، مجلة علوم الانسان والمجتمع ، العدد(٩) ، جامعة بسكرة ، الجزائر ، ٢٠١٤ .
١٧- محمد ابراهيم مجاهد : بعض مخاطر العولمة التي تهدد الهوية الثقافية للمجتمع ودور التربية في مواجهتها ، مجلة مستقبل التربية العربية ، مجلد ٧ العدد ٢٢ ، القاهرة ،٢٠٠١ .
١٨- محمد سبيلا : مدارات الحداثة ، الشبكة العربية للابحاث والنشر ، بيروت ، ٢٠٠٩ .
١٩- محمد محمود شاويش : نحو ثقافة تأصيلية ، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع ، دمشق ٢٠٠٧ .
٢٠- محمود عودة : تاريخ علم الاجتماع الجزء الأول: مرحلة الرواد ، دار النهضة العربية ، بيروت ، د.ت .
٢١- مديحة فخري محمود : الاستلاب الفكري والثقافي في العالم العربي – رؤية تربوية ، مجلة كلية التربية ، العدد الرابع ، جامعه المنوفية ، جمهورية مصر العربية ، ٢٠١٩ .
٢٢- مصطفى ثابت : الهوية الثقافية ومشكلة الاغتراب الثقافي في عصر عولمة الاعلام والمعلومة ، مجلة الحكمة للدراسات الاعلامية والاتصالية ، العدد (١) المجلد (١١) ، الجزائر ، ٢٠٢٣ .
٢٣- منصور بن زاهي ومحمد الساسي : مظاهر الاغتراب الاجتماعي لدى طلبة جامعة ورقلة"، مجلة العلوم الإنسانية، العدد ٢٥، الجزائر ٢٠٠٦ .
٢٤- نبيل رمزي اسكندر: الاغتراب وأزمة الإنسان المعاصر، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٨ .
٢٥- نوره ابراهيم عبد الله : القيم الاجتماعية وأثرها في تماسك البناء الاجتماعي في المجتمع البحريني ، مجلة دراسات للعلوم الانسانية والاجتماعية ، الجامعة الأردنية ، عمادة البحث العلمي ، الأردن ، ٢٠١٧ .
٢٦- هدى اعلان عبد الحسين : الاغتراب الاجتماعي وتأثيره على التجانس الثقافي لطلبة الصفوف الأولية / دراسة ميدانية في مدينة الديوانية ، رسالة دبلوم عالي معادل للماجستير ، كلية الآداب / جامعة القادسية ، ٢٠٢٥ .
٢٧- وليد منير : التنمية وأزمة الثقافة بين ظاهرة الاستلاب وفاعلية التغيير ، مجلة ثقافتنا للدراسات والبحوث ، كلية التربية النوعية / جامعة القاهرة ، العدد ٢٢ المجلد ٦ ، ٢٠١٠.
28- Erich Hatala Matthes : Cultural Appropriation Without Cultural Essentialism , Social Theory and Practice, Vol. 42, No. 2 , Florida State University , 2016 .
29- James Reveley : Understanding Social Media Use as Alienation : a review and critique , E-Learning and Digital Media , Volume 10 , Number 1 , 2013 .